

المبحث الثالث

تهذيب الدافع الجنسي للطفل

obeikandi.com

## تهذيب الدافع الجنسي للطفل<sup>(١)</sup>

تمهيد :

حرص الإسلام على تنشئة الإنسان تنشئة متوازنة، بحيث يتكون تكويننا منسجما مع طبيعته التي خلقها الله، ومع فطرته التي فطره عليها، وهكذا كانت إحدى خصائصه المميزة التوازن في الأمور كلها بلا إفراط ولا تفريط .

والدافع الجنسي خلقه الله تعالى في النفس البشرية ليكون سببا في استمرار الكائنات الحية جميعها، ومن بينها الإنسان، وقد خص الله تعالى زمنا معيننا لتفجير هذه الطاقة في الإنسان؛ ليصبح قادراً على الإنجاب... وسمى الشرع الحنيف هذا السن بسن التكليف، أي : بدخول الطفل هذا السن يصبح مسؤولا عن تصرفاته، محاسبا على أعماله .

ولكى يسير الدافع الجنسي في نفس الطفل بشكل هادئ بلا تهيجات خارجية تغذيه نحو الانحراف عن السلوك القويم، رعى الإسلام هذا الطفل، وطالبه بأوامر ونواه؛ وذلك لكي يتهدب الدافع الجنسي، ويبقى متوازنا طاهرا بلا انحراف، نقيا بلا تلوث .

فما هي الأسس والقواعد الضابطة التي خصها رسول الله ﷺ في تهذيب الطفل جنسيا؛ وذلك ليقوم الوالدان باتباعها، فيحفظوا بها طفلهم من الانحراف الجنسي، وتبقى فطرته نظيفة طاهرة عفيفة، لم تחדشها الجاهلية بمستنقعها الآسن؟

(١) أمور الجنس بحاجة لتهذيب وليس إلى بناء، لأنها موجودة في النفس بشكل قوي، فالحاجة إلى تهذيبها هو العملية التربوية، بخلاف غير المسلمين الذين يبيحون الجنس في كل مراحل العمر بالاتصال المحرم .

## الأساس التهذيبي الأول : استئذان الطفل في الدخول :

الطفل يعيش في منزله كثيرا، ويتنقل سريعا في أرجاء البيت، والاستئذان بالنسبة له أمر صعب وشاق في كل لحظة، وفي كل آن، لذلك وجدنا القرآن الكريم يحدد للطفل الصغير طريقة الاستئذان، فيتناولها بالرعاية، والتوجيه، وذلك بأسلوب تدريجي رائع، فحددها له أولا، وهو طفل صغير أن يستأذن في ثلاثة أوقات حساسة : من قبل صلاة الفجر... ووقت الظهر عند القيلولة .. وبعد صلاة العشاء .

ونلاحظ أن هذه الأوقات هي أوقات نوم الوالدين، وقد دخلا في غرفة النوم، حتى إذا قرب من سن الاحتلام وجب عليه الاستئذان في البيت في الدخول على والديه في كل آن، وكلما وجد أمامه الباب مغلقا في وجهه، ووالده في الغرفة .

فلنعش لحظات مع التوجيه القرآني الذي يخص هذا الأمر بالتفصيل، والبيان دون غيره، لما له من أهمية كبيرة في ميزان الشرع :

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا  
الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِن  
بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ  
طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن  
قَبْلِهِمْ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٩﴾ [النور] .

«ففي هذه الأوقات الثلاثة لا بد أن يستأذن الخدم وأن يستأذن الصغار المميزون، الذين لم يبلغوا الحلم، كيلا تقع أنظارهم على عورات أهلهم .

وهو أدب يغفله الكثيرون في حياتهم المنزلية، مستهينين بأثاره النفسية،

والعصبية، والخلقية، طائين أن الخدم لا تمتد أعينهم إلى عورات السادة!

وأن الصغار قبل البلوغ لا يتبهبون هذه المناظر، بينما يقرر النفسيون اليوم - بعد تقدم العلوم النفسية - أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثر في حياتهم كلها، وقد تصيبهم بأمراض نفسية، وعصبية، يصعب شفاؤهم منها<sup>(١)</sup>.

فهل تريدان أيها الوالدان أن يمرض طفلكما؟ وبأى مرض؟ إنه بالأمراض النفسية، والعصبية، التي يصعب شفاء الطفل منها.

وما هو السبب يا ترى؟ إنه تهاون الوالدين في تعويد طفلها الاستئذان للدخول في الأوقات الثلاثة، التي تكون فيها عورات الوالدين منكشفة، لهذا نجد النبي ﷺ يعلم أنسًا الاستئذان كما روى البخاري في الأدب المفرد<sup>(٢)</sup>.

عن أنس قال: كنت خادمًا للنبي ﷺ، فكنت أدخل بغير استئذان، فجئت يوما فقال: كما أنت يا بني، فإنه قد حدث بعدك أمر: «لا تدخلن إلا بإذن».

ومن هنا وجب أيضا على الوالدين أن يستر عوراتهما في كل آن أمام طفلها، لكي يساعدها على سير غريزته الجنسية بشكل طبيعي، دون تسرع بالمهيجات، فلتنجب .. ولنتبته .. ولنستجب لنداء الله تعالى ورسوله لما يحيننا.

### حكم الطفل غير المميز:

إن الطفل الصغير الذي لا يميز محاسن وقبح النساء، وكذلك البنت التي لم تبدأ معالم البلوغ عندها، لهما حكم خاص بهما نصت الآية عليه:

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا

(١) في ظلال القرآن (١٨/١٢٣).

(٢) من الحديث (٨٠٧).

ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ  
 آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي  
 إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّبِيعِينَ غَيْرَ أُولِي الإِرْزَةِ مِنَ  
 الرِّجَالِ أَوْ الْوَالِدِ الَّذِي لَمْ يَضْطَرُّوا عَلَيْهِ عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا  
 يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ [النور].

وهذه عائشة - رضى الله عنها - يأتها الصبيان والصغار، ويرون لباسها، قال  
 عطاء : كنت أتى عائشة أنا وعبيد بن عمير، وهى مجاورة فى جوف ثبير، قلت : فما  
 حجابها حينئذ؟ قال : فى قبة لها تركية، عليها غشاء لها، بيننا وبينها، قال : ولكن قد  
 رأيت عليها درعا معصفرا، وأنا صبى<sup>(١)</sup> .

### الأساس التهذيبي الثانى : تعويد الطفل غض البصر، وحفظ العورة :

إن البصر هو نافذة الطفل على العالم الخارجى، فما تراه عيناه ينطبع فى ذهنه،  
 ونفسه، وذاكرته بسرعة فائقة... فإذا تعود غض بصره عن العورات كافة المنزلية  
 والخارجية، مستعينا بمراقبة الله تعالى له، كما فعل الطفل الصالح عبدالله التستري،  
 الذى كان يردد ورده القلبي قبل أن ينام : «الله شاهدى .. الله ناظرى .. الله معى»  
 فإن ذلك يورث حلاوة الإيمان، التى يجدها الطفل فى نفسه .

وقد يتهاون الطفل أحيانا، وينسى أخرى، ويغلبه هواه فى لحظة ما، فيرسل  
 بصره نحو الفتيات بشهوة وتلذذ، فماذا فعل رسول الله ﷺ فى مثل هذا الموطن؟

أخرج البخارى والترمذى وأبو داود عن عبد الله بن عباس قال :

«كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه،

(١) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٦٧/٥) قال حبيب الرحمن الأعظمى معلقا : وأخرجه البخارى  
 دون قوله : «وأنا صبى» (٣/٣١١) .

فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر»<sup>(١)</sup>.

وروى أحمد عن الفضل بن عباس قال : كنت رديف رسول الله ﷺ من جمع إلى منى، فبينما هو يسير إذ عرض له أعرابي مردفا ابنة له جميلة، وكان يسايره، قال : فكنت أنظر إليها، فنظر إلى النبي ﷺ فقلب وجهي عن وجهها، ثم أعدت النظر فقلب وجهي عن وجهها حتى فعل ذلك ثلاثا، وأنا لا أنتهي، فلم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة<sup>(٢)</sup>.

وروى زنجويه عن ابن عباس - رضی الله عنهما - قال : كان الفضل بن عباس رديف النبي ﷺ يصرف وجهه بيده ويقول : «ابن أخي، إن هذا يوم من غض فيه بصره وحفظ فرجه ولسانه غفر له»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية ابن جرير في «تهذيب الآثار» أن العباس قال للنبي ﷺ :

رأيتك تصرف وجه ابن عمك! فقال رسول الله ﷺ : «رأيت جارية حدثت، وغلاما حدثا، فخشيت أن يدخل بينهما الشيطان».

وعن ابن عباس رضی الله عنهما قال: كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ قال : فأتت رسول الله ﷺ امرأة من خثعم تستفتيه، قال : فجعل الفضل ينظر إليها، وتنظر إليه، قال : فجعل يصرف وجه الفضل بيده إلى الشق الآخر، قالت : يا رسول الله، إن فريضة الله في الحج على عباده أدركت أبي شيخا كبيرا، لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال : «نعم».

رواه ابن خزيمة في صحيحه (٣٤٣/٤) ورواه البخاري ومسلم.

(١) الكنز (٥/١٨٨ و ٢٠٤) ورواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/٢٦١).

(٢) المسند (١/٢١١).

(٣) ورواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/٢٦٠) وأبو يعلى في مسنده (١/٢٦٤).

فإذا لا بد من تعويد الطفل غض البصر عن العورات في كل مكان، حتى لا تتسرع غريزته الجنسية بالنضوج المبكر، السريع الشاذ، الذي قد يسبب أضرارا، وأخطارا ذاتية، وجسمية، ونفسية، واجتماعية، وخلقية .

وقد ذكر الشيخ عبد الحميد كشك - رحمه الله تعالى - في إحدى خطبه قول أحد علماء الألمان حول أهمية غض البصر، وأنه العلاج الوحيد للجنس قوله :

لقد درست علم الجنس، وأدوية الجنس، فلم أجد دواء أنجح، وأنجع من القول في الكتاب الذي نزل على محمد ﷺ : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور].

أما ستر العورة فإن الطفل يتعودها مع بداية أمره بالصلاة، حيث لا بد أن يكون لباسه ساترا لعورته، وذلك لتكون صلاته صحيحة سليمة من صغره، وبالتالي ينشأ على حب ستر العورة، صبيا كان أم بنتا، فالصبي يلبس ما يستر عورته، والبنت كذلك، وتزيد عليه أن تتعود الحجاب، فتبدأ بحجاب الصلاة، وهكذا ينشأ الطفل مستقيما صالحا مهذبة نفسه، قوينة أخلاقه، قويا في إيمانه .

### الأساس التهديبي الثالث : التفريق في المضاجع بين الأطفال :

وهو ركن أساسى في تهذيب الطفل جنسيا، وعدم إثارة غريزته بشكل سيئ، وهذا لا نظير له في العالم كله من تشريعات ... إنها نظرة النبوة، والدقة النبوية في تهذيب الطفل، والاهتمام به، فروى أبو داود بسند حسن عن النبي ﷺ :

«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع» .

وفي رواية الحاكم في مستدرکه (٢٠١ / ١) وقال : صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي : «إذا بلغ أولادكم سبع سنين ففرقوا بين فرشهم، وإذا بلغوا عشر

سنين فاضربوهم على الصلاة». ورواه الدارقطني (١/ ٢٣٠).

إذا هذا التفريق يبدأ في سن العاشرة، حيث تكون الغريزة في طريقها للنمو، ولكن كيف يتم التفريق في المضجع؟ إنه عدم نوم طفلين تحت لحاف واحد، أو ينامان في سرير واحد، إما على فراش واحد، وبلحافين مختلفين فلا حرج. وكلما ابتعدا عن بعضهما فهو أفضل.

قال العلامة شاه ولي الله الدهلوي :

«وإنما أمر بتفريق المضاجع؛ لأن الأيام أيام مراهقة، فلا يبعد أن تفضى المضاجعة إلى شهوة المجامعة، فلا بد من سد سبيل الفساد قبل وقوعه»<sup>(١)</sup>.

لذلك فإن النوم في فراش تحت لحاف واحد، يؤدي بالأطفال أن تنمو فيهم الغريزة الجنسية بسرعة متزايدة، وأن تتأجج فلا تجد طريقا لإنفاذها إلا ببعض مظاهر الانحراف، والشذوذ الجنسي. وكم تحدث شذوذات تحت اللحاف لا يشعر بها الأبوان، فتكون سببا في دمار هؤلاء الأطفال الأبرياء، الذين تساهل آباؤهم عن أحوالهم، فوضعوهم في مخالفة أوامر النبي ﷺ!

ورسول الله ﷺ: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ ﴾ [النجم]  
يقدم لنا أمرا صريحا: «وفرقوا» فالمؤمن يمثل فيفرق، وأين التفريق؟ إنه «بينهم في المضجع». فأين التربية الغربية والشرقية من التوجيه النبوي الرائع؟!

الأساس التهذيبي الرابع: نوم الطفل على شقه الأيمن، وابتعاده عن النوم على بطنه:

اتباع سنة رسول الله ﷺ بالنوم على الشق الأيمن يبعد الطفل عن كثير من المهيجات الجنسية أثناء النوم، وقد وصف ﷺ النوم على الوجه بنومة الشيطان... فإذا نام الطفل على بطنه، فيؤدي ذلك إلى كثرة حك أعضائه التناسلية التي تثير

(١) حجة الله البالغة (١/ ١٨٦).

شهوته في هذه الحالة، فإذا وجد الوالدان الطفل في هذه الحالة نائماً غيراً من حالته، وحببوا إليه النوم على الشق الأيمن، والابتعاد عن النوم على الصدر... فضلاً عن أن النوم على الصدر يورث كثيراً من الأمراض الجسمية... والأطباء جميعاً بدون استثناء ينصحون بالابتعاد عن النوم على البطن.

الأساس التهذيبي الخامس: ابتعاد الطفل عن الاختلاط، والمهيجات الجنسية:

انطلاقاً من القاعدة القائلة: «وبضدها تتميز الأشياء»، سنعرض بين يديك التجربة الأوروبية في الاختلاط، وما نتج عنه بين الأطفال ذكورا وإناثاً، الأمر الذي تسمئز منه النفوس الطاهرة العفيفة، فقد أورد الشيخ وهبى سليمان الغاوجى عن التجربة الغربية، وأنها إذ نقدم هذه التجربة الفاشلة للآباء والمربين؛ لأن النفوس المسنمة الضعيفة تعودت أن تأخذ التجربة الأوروبية محل اعتبار وتقدير، وتتأقل مسامعها من وعظ الواعظين في المساجد والخطب، وهم يحذرونهم من وباء الاختلاط، فإليك هذه الطائفة من الحوادث، إن في ذلك لذكرى لمن ألقى السمع وهو شهيد، فقال:

«حدثنى الأستاذ الكبير أحمد مظهر العظمة أنه حين ذهب منذ سنين في رحلة علمية إلى بلجيكا، لاحظ مدرسة ابتدائية هناك، وهى تقوم بجولات في مدارسها، جميع طلابها بنات، فسأل المديرية: لماذا لا تخلطون البنين مع البنات في هذه المرحلة؟ قالت: قد لسنا أضرار اختلاط الأطفال حتى في سن المرحلة الابتدائية».

وإن لم تصدق هذا الكلام، فإليك الأرقام لتتكلم معك:

«قال القاضى لندسى في كتابه «تمرد النشاء الجديد»: إن الصبية في أمريكا قد أصبحوا يراهقون قبل الأوان، ومن السن الباكرة جدا يشتد فيهم الشعور الجنسي».

ويحدث هذا القاضى عن أحوال (٣١٢) صبية على سبيل النموذج فيقول: إن

(٢٥٥) صبية منهن كن أدركن البلوغ فيما بين الحادية عشرة والثالثة عشرة من سنن أعمارهن، فيهن من أمارات الشهوة الجنسية، والمطالب الجنسية ما لا يكون عادة إلا في بنات الثامنة عشرة فما فوقهن سنا .

ويقول الدكتور أديت هوكر في كتابه «القوانين الجنسية» :

«إنه ليس من الغريب الشاذ، حتى في الطبقات المثقفة : أن بنات سبع، وثمانى سنين منهن يخادن لداتهن مع الصبية، وربما تلوثن معهم بالفاحشة .

بنت في السابعة من عمرها من بيت عريق في الشرف والمجد، ارتكبت الفحشاء مع أخيها، وعدد من أصدقائه . ونفر آخر من خمسة أولاد يشتمل على صبيتين وثلاثة صبيان متجاوزين، متقاربي البيوت، وجدوا متعلقين ببعضهم بالعلاقات الجنسية، وقد حفزوا على ذلك غيرهم من الأولاد أيضا، وكان أكبر أولئك سنا ابن عشر سنين، وبنت أخرى في التاسعة كانت في ظاهر الأمر تحت رقابة شديدة، وجدت سعيدة بكونها حبيبة عشاق ذوى عدد!!

«وقد جاء في تقرير طبيب من مدينة بالتيمور : إنه رفع إلى المحاكم في تلك المدينة أكثر من ألف مرافعة في مدة سنة واحدة، كلها في ارتكاب الفاحشة مع الصبايا دون الثانية عشرة من العمر» .

«يُحْمَنُ القاضى لندسى الأمريكى أن (٤٥٪) من فتيات المدارس تدنسن قبل خروجهن منها، وترتفع هذه النسبة كثيرا في مراحل التعليم العالية، فيكتب : أن الطالب في مدرسة ثانوية تكون عواطفه دون عواطف الطالبة شدة والتهابا، فالصبية هى التى تتقدم أبداً، وتأمّر، وما يفعل الصبى إلا أن يتبع ويأتمر»<sup>(١)</sup>.

ومن المؤسف، والمؤلم، والمحزن أن كثيرا من البلدان الإسلامية بدأت تسير على هذا النهج في اختلاط الصبيان مع البنات ... وهذا تأمر على إفساد المجتمع، وتوهين بنية الأجيال .

(١) المرأة المسلمة (ص ٢٤٣) .

الأساس التهذيبي السادس : تعليم الطفل المميز فروض الغسل، وسنته :

حينما يتوقع الأبوان قرب بلوغ الصبي، والبنات على السواء، عند ذلك وجب عليهم تعليم الأطفال فرائض إسقاط الحدث الأكبر - الجنابة - وسنته، وكذلك يحدثانهم عن أسبابه، وعن طبيعة المادة التي تخرج، ولونها، أى : يقدمان لهم درسا في فقه الغسل من كتب الفقه، ولأن يحدثهم الآباء حديثا هادئا عن هذه الأمور، خير من أن تمتد أيدي السوء لتنتشلهم، ويقدمون لهم السم الزعاف، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : «ينقض عرى الإسلام عروة عروة من نشأ في الإسلام ولم يعرف الجاهلية» .

فلا بد من أن يقدم الأب لصبيه والأم لبنتها حديثا وأحاديث عن فقه الإسلام في هذه المادة، التي تخرج من جسم الإنسان، وماذا يفعله الإنسان في مقابل ذلك، وما يعنى خروج هذه المادة بالنسبة للشرع؟

إنه يعنى دخول سن التكليف في الحياة ... إنه بدء الفرائض على الإنسان، والنواهي الربانية له ... وبذلك أصبح الإنسان محاسباً على الصغيرة والكبيرة على أعماله، وأقواله، وأن الملكين رقيياً وعتيداً، بدأ كل منهما مهمته في تسجيل الحسنات والسبئات ... إلى غير ذلك من مواعظ هادئة، تنبه الطفل نحو العمل الصالح، وكرهية العمل الطالح .

الأساس التهذيبي السابع : شرح مقدمة سورة النور، وتحفيظها للطفل المميز :

بعد بلوغ الطفل سن العاشرة، يفرق في مضجعه عن إخوته، فهذا يعنى أن بعض الدلالات الجنسية بدأت بالظهور رويدا رويدا .

ففى هذه السن نبدأ بوضع الوقايات النفسية، والمناعات الإيانية في نفس الطفل، ليقوى بها على التحكم في غريزته، وضبط نفسه، والحفاظ عليها من ارتكاب الفاحشة، والعياذ بالله تعالى، فكان السلف - رضوان الله عليهم - يقدمون

لأطفالهم سورة النور كوقاية لهم مع الشرح والبيان، ويهتمون بتحفيظها في سن المراهقة قبل البلوغ وخاصة البنات .

روى مجاهد عن النبي ﷺ أنه قال : «علموا رجالكم سورة المائدة، وعلموا نساءكم سورة النور» رواه سعيد بن منصور في سننه والبيهقي في شعب الإيمان ورمز السيوطي لضعفه<sup>(١)</sup> .

وقد أوضح الجاحظ : «بأن المعلمين كانوا يعنون عناية خاصة بتحفيظ الفتيات سورة النور»<sup>(٢)</sup> .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ يكتب في الآفاق :

«لا تدخلن امرأة مسلمة الحمام إلا من سقم، وعلموا نساءكم سورة النور»<sup>(٣)</sup> .

الأساس التهديبي الثامن : المصارحة الجنسية، والتحذير من الفاحشة :

قلنا: إن الطفل يعلم، ويحفظ سورة النور، التي تتضمن البناء الخلقى، والتهديب الجنسي للطفل، وتحذره من الوقوع في الفاحشة .

وبعد تعلمه فرائض الغسل، وإسقاط الجنابة، يحذر تحذيرا شديدا من الوقوع في الفاحشة، ويشرح له وذلك حسب البلد الذي يعيش فيه الطفل، هل في بلد متحلل مثل الغرب وأمريكا؟ أم في بلد إسلامي محافظ؟ وعلى حسب الأسرة التي بلغ فيها ذلك الطفل، هل هي إسلامية أو إباحية، فحيثما كانت الإباحية فيجب أن يشرح للطفل المسلم البالغ ما هو الزنا، حتى يجتنبه، ويتعد عنه، وذلك من أجل ألا يقع في الزنا، ثم يقول : أنا لا أدري كيف هو؟ وما حكمه؟

(١) انظر : الجامع الصغير (٤/ ٣٢٨) .

(٢) البيان والتبين (٢/ ٩٢) .

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه (١/ ٢٩٥) .

ويروى له حديث رسول الله ﷺ التالي :

روى أحمد والطبراني عن أبي أمامة أن فتى من قريش أتى النبي ﷺ فقال :

يا رسول الله، ائذن لي في الزنا، فأقبل القوم عليه وزجروه، فقالوا : مه .. مه ..

فقال : «اذنه»، فدنا منه قريبا، فقال :

«أتجبه لأمك؟» قال : لا، والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال : «ولا

الناس يحبونه لأمهاتهم» .

قال : «أفتجبه لابنتك؟» قال : لا، والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال :

«ولا الناس يحبونه لبناتهم» .

قال : «أفتجبه لأختك» قال، لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال :

«ولا الناس يحبونه لأخواتهم» .

قال : «أتجبه لعمتك؟» قال : لا، والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال :

«ولا الناس يحبونه لعماهم» .

قال : «أتجبه لخالتك؟» قال : لا، والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال :

«ولا الناس يحبونه لخالاتهم» .

قال : فوضع يده عليه، وقال : «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه» .

قال : فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء .

ويعرف كذلك بعقوبة الزنا، وإقامة الحد :

وفي الصحيحين عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني أنهما قالوا في الأعرابيين

اللذين أتيا رسول الله ﷺ، فقال أحدهما : إن ابني هذا كان عسيفا - يعني : أجيورا -

على هذا، فزني بامرأته، فافتديت ابني منه بهائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم

فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال

رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده، لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى : الوليدة

والغنم رد عليك، وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام، واغد يا أنيس - لرجل من أسلم - إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها» .

### الأساس التهذيبي التاسع : الزواج المبكر :

مهما قيل في الزواج المبكر من مساوئ في العصر الحاضر، فإن محاسنه تفوقه، وخاصة إذا صحبه تأمين الحياة المادية، سواء من مساعدة الوالدين، أو من كسب الفتى الناشئ وما أمراض الأمة النفسية والاجتماعية، والحوادث الجنائية إلا نتيجة طبيعية لتأخير الزواج، ولن نناقش هذا الأمر كثيرا، فحسبنا أن نقدم من حياة السلف الصالح هذه النماذج التي قدمها الإمام الراوى عبد الرزاق المتوفى سنة (٥٢١١هـ) في مصنفه، باب: نكاح الصغيرين المجلد السادس صفحة (١٦٢) :

١ - عن عروة قال : نكح النبي ﷺ عائشة وهي بنت ست، وأهديت إليه وهي بنت تسع، ولقبها معها، ومات عنها وهي بنت ثمانى عشرة<sup>(١)</sup> .

٢ - وعن أبى جعفر قال : خطب عمر إلى على ابنته فقال : إنها صغيرة، فليل لعمر : إنما يريد بذلك منعها، قال : أبعث بها إليك، فإن رضيت فهي امرأتك، قال : فبعث بها إليه، قال : فذهب عمر، فكشف عن ساقها، فقالت : أرسل، فلولا أنك أمير المؤمنين لصككت عنقك .

وقد علل عمر زواجه من بنت على، وهي صغيرة، بقوله :

عن عكرمة قال : تزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت على بن أبى طالب، وهي جارية تلعب مع الجوارى، فجاء إلى أصحابه، فدعوا له بالبركة، فقال : لم أتزوج من نشاطى، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى»<sup>(٢)</sup> فأحببت أن يكون بينى وبين نبي الله ﷺ سبب ونسب .

(١) قال المحقق حبيب الرحمن الأعظمي: وأخرجه مسلم، وفيه: «لعبتها» ورواه أبو داود في النكاح .  
(٢) صحيح، انظر: صحيح الجامع (٤٥٢٧)، وقال: رواه الطبرانى والحاكم والبيهقى عن عمر والطبرانى في الكبير عن ابن عباس وعن المسور .

٣- وعن الحسن، والزهرى، وقتادة، قالوا : إذا أنكح الصغار آبؤهم جاز نكاحهم.  
قال عبد الرزاق : وبه نأخذ .

٤- وعن ابن طاوس عن أبيه قال : إذا أنكح الصغيرين أبوهما، فهما بالخيار إذا كبرا .

٥- وعن الزهرى : أن عروة بن الزبير أنكح ابنه صغيرا ابنة لمصعب صغيرة .

٦- وعن هشام بن عروة قال : زوج أبى ابنه صغيرا هذا ابن خمس، وهذا ابن ست،  
فمات فورثته أربعة آلاف دينار، أو نحو ذلك .

يكفى أن تعلم فتوى قتادة التابعى إذ يقول : كان يقال : إذا بلغ الغلام فلم  
يزوجه أبوه فأصاب فاحشة أثم الأب . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال  
(١/٣٣٣) .

وقال ابن عباس - رضى الله عنهما : من رزقه الله ولدا فليحسن اسمه وتأديبه،  
فإذا بلغ فليزوجه .

وقال عبد الله بن أبى حسين المكى : كانوا إذا أدرك لهم ابن عرضوا عليه  
النكاح، فإن قبله، وإلا أعطوه ما ينكح به، وقالوا : أنت أعلم بأربك . رواهما ابن  
أبى الدنيا فى كتاب العيال (١/٣٣٤-٣٣٥) .

قال الإمام الشيرازى الشافعى فى المهذب :

« ويجوز لولى الصبى أن يزوجه إذا رأى ذلك، لما روى أن عمر رضي الله عنه زوج ابنا له  
صغيرا، ولأنه يحتاج إليه إذا بلغ فإذا زوجه ألف حفظ الفرج» .

وهل له أن يزوجه بأكثر من امرأة؟ فيه وجهان : أحدهما : لا يجوز، لأن حفظ  
الفرج يحصل بامرأة، والثانى : يجوز أن يزوجه بأربع، لأنه قد يكون له فيه حفظ .

وقال الشافعى - رحمه الله : له أن يزوجه بزوجة واثنين وثلاث وأربع،  
كالبالغ<sup>(١)</sup> .

(١) انظر : المهذب، تحقيق د. محمد الزحيلي ٤/١٣٤ مع حاشيته، ورجح القول الثانى .

فزوج الصغير والصغيرة سنة السلف الصالح، حتى أفرد له الفقهاء أبحاثا كما وجدت، بل يرون تعدد الزوجات للصغير، وإنما من نفائس الفقه الإسلامى المحافظ على العفة والطهارة والنسب .

إن غير المسلمين يرتكبون الفاحشة صغارا وكبارا، وبنى جلدتنا عندما يسمعون أحكام الشريعة يتذمرون منها، ويرفعون أصواتهم، ولست أدري ألعفة يدعون؟! أم جهنم ينتظرون!؟

إن الزواج هو الطهارة، وهو الفطرة، وهو المجتمع، وهو الدولة، ومتى انهار سوق الزواج، راح سوق الفاحشة، فانهار الإنسان، وانهار المجتمع، وانهارت الدولة حتى لو كانت تملك السلاح النووى، وأكبر المصانع، لأن الذى يديرهما هو الإنسان، ومتى انهار الإنسان تبعه شتى أنواع الانهيارات الأخرى . وإن الصبية المتوفى عنها زوجها لتجلس فى عدتها، روى البخارى عن الزهرى قال : لا أرى أن تقرب الصبية المتوفى عنها : الطيب؛ لأن عليها العدة .

وإن العالم - الآن - تقض مضاجعه القنوات الفضائية الفاجرة، وصيحات المخلصين المصلحين لا تجد لها أذنا صاغية، لأن تيار العنف الجنسى جارف للكبار والصغار، فما على المسلمين الغيورين على دينهم ودين أبنائهم سوى التكبير فى الزواج، فلئن صلح الولد فى البيت، فإن خطر الرفقاء السوء فى المدرسة والمجتمع أصبح قريبا جدا، لقرب القنوات الفضائية الفاجرة من أولئك الفسقة الفجرة، لذا فإن عودة المسلمين إلى سنة السلف الصالح فى تكبير سن الزواج هو الخير والبركة، خير لأن فيه عصمة من انحراف الولد صبيا أو بنتا نحو الرذيلة والخنأ، وبركة لأن فيه إنجاب الذرية المسلمة المباركة، وتكثير عدد المسلمين الصالحين .

فإلى الغيورين والمصلحين والمفكرين أقدم هذا رأى والله الموفق وهو الهادى للصواب .

## سؤال فقهي : ما هو سن زواج الصغيرة؟

قال مالك والشافعي وأبو حنيفة : حد ذلك أن تطيق الجماع، ويختلف ذلك باختلافهن، ولا يضبط بسن، وهذا هو الصحيح، وليس في حديث عائشة تحديد، ولا المنع من ذلك في سن إطاقته قبل تسع، ولا الإذن فيه لمن لم تطقه وقد بلغت تسعا<sup>(١)</sup>.

### خاتمة : علامات البلوغ :

هناك علامتان لدخول الطفل سن البلوغ والتكليف، وهما الاحتلام، أو ظهور شعر العانة تحت السرة .

### ١ - الاحتلام :

فقد نصت الآية : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِدُّنَا كَمَا اسْتَعَدَّنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [النور : ٥٩] .

وروى أبو داود عن علي - كرم الله وجهه - قال : حفظت عن رسول الله ﷺ :  
« لا يتم بعد احتلام، ولا صمات يوم إلى الليل » .

### ٢ - ظهور شعر العانة :

عن عطية قال : «عرضنا على النبي ﷺ يوم قريظة، فكان من أثبت عانته قتل، ومن لم يثبت خلى سبيله، فكنت ممن لم يثبت فعلى سبيل» رواه الخمسة، وصححه الترمذي . وفي لفظ : «فمن كان محتلماً أو أثبت عانته قتل ومن لا ترك» رواه أحمد والنسائي<sup>(٢)</sup> .

وعن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ قال : «اقتلوا شيوخ المشركين، واستحيوا شرخهم» . والشرخ : الغلمان الذين لم يثبتوا . رواه الترمذي، وصححه .

### ٣ - الصبي إذا بلغ خمس عشرة أقيمت عليه الحدود . رواه البيهقي في

«الخلافيات» عن أنس .

(١) انظر : بذل المجهود في حل أبي داود (١٠ / ١٤٥) طبع دار الكتب العلمية - بيروت .  
(٢) ورواه الحاكم في مستدرکه (٤ / ٣٩٠) بلفظ : «كنت غلاماً يوم حكم سعد بن معاذ في بني قريظة أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، فشكوا في فلم يجدوني أثبت الشعر، فها أنا ذا بين أظهركم» .